الفلسفة ثانية باك

مفهوم الدولة (المحور الثاني : طبيعة السلطة السياسية)

الأستاذ : حسن شدادي

الفهرس

I- الإشكالية
II- الموقف الفلسفي 1 : لوي ألتوسير
2-1/ النص الفلسفي
2-2/ الأسئلة
2-3/ التصور الفلسفي
III- الموقف الفلسفي 2 : ميشيل فوكو
3-1/ النص الفلسفي
3-2/ الأسئلة
3-3/ التصور الفلسفي
IV- الموقف الفلسفي 3 : نيكولا مكيافيلي
4-1/ النص الفلسفي
4-2/ الأسئلة
4-3/ التصور الفلسفي
V- تركيب

I- الإشكالية

إن الحديث عن طبيعة السلطة السياسية يقودنا إلى الحديث عن أجهزتها وإستراتيجيتها وعملها وخططها ومدى التحول الذي أصاب سلطتها وعملها. ففي القديم كان الكل يعرف مركز السلطة التي كانت في أجهزة متعالية عن الرعية، أما في عصر تحولات السلطة أصبح من المستحيل الحصول على مركزها وآليات اشتغالها، إنها أفقية بالقدر الذي هي عمودية، إنها مركزية بالقدر الذي هي مشتتة في كل مكان، مركزية ولا مركزية. هذا ما يقودنا إلى طرح مجموعة من الأسئلة:

- ما طبيعة السلطة السياسية ؟
- هل السلطة مجموعة من الأجهزة المركزية المتعالية أم أدوار واستراتيجيات وخطط لا مركز لها ؟
- هل السلطة أفقية أم عمودية أم هما معا ؟
- هل السلطة السياسية مركزة في أجهزة سياسية وإدارية محددة وتراتبية أم هي استراتيجيات وخطط وطاقة أفقية وعمودية تطال الجسم الاجتماعي كله ؟

II- الموقف الفلسفي 1 : لوي ألتوسير

2-1/ النص الفلسفي

الدولة مجموعة من الأجهزة

لوي ألتوسير

يعتبر لوي ألتوسير من الفلاسفة الفرنسيين الذي جددوا الفكر الماركسي من خلال استثمار مفاهيم وأدوات نظرية مستمدة من التحليل النفسي . وفي هذا النص يبرز ألتوسير أن الدولة هي عبارة عن مجموعتين من الأجهزة تضم إلى جانب الأجهزة القمعية التي تحدثت عنها الأدبيات الماركسية التقليدية ، مجموعة أجهزة أخرى هي الأجهزة الأيديولوجية .

صورة للبرلمان وهو يشكل جهازًا من أجهزة الدولة

«من أجل تطوير نظرية الدولة يكون من اللازم أن نأخذ بعين الاعتبار ، لا فقط التمييز بين سلطة الدولة وجهاز الدولة ، بل أيضًا اعتبار واقع آخر ، يقع ، بشكل جلي في جانب الجهاز (القمعي) للدولة ، لكنه لا يختلط به . سنسمّي هذا الواقع بمفهومه : الأجهزة الأيدولوجية للدولة .

ما هي الأجهزة الأيدولوجية للدولة ؟

إنها لا تختلط بالجهاز القمعي للدولة ، لنذكر أن جهاز الدولة في النظرية الماركسية ، يتضمن : الحكومة ، الإدارة ، الجيش ، الشرطة ، الحاكم ، السجن ، إلخ . التي تشكل ما سندعوه ابتداءً من الآن الجهاز القمعي للدولة . كلمة قمعي تشير إلى أن جهاز الدولة المعني يشتغل بالعنف على الأقل في النهاية . (إذ أن القمع الإداري ، مثلا ، يمكن أن يكتسي أشكالاً غير فيزيائية) .

نقصد بالأجهزة الأيديولوجية للدولة عددًا من جوانب الواقع التي تَمْثُل أمام الملاحظ المباشر على هيأة مؤسسات متميزة ومتخصصة سنقترح بصددها لائحة تجريبية تتطلب بالطبع أن تفحص في تفاصيلها وأن يتم اختبارها ومراجعتها وتعديلها . نستطيع الآن ـ مع كل التحفظات التي يقتضيها هذا المطلب ـ أن نعتبر الأجهزة التالية أجهزة إيديولوجية (وليس لترتيبها هنا أية دلالة خاصة) : الجهاز الديني ، والجهاز العائلي ، والمدرسي ، والقانوني ، والسياسي ، والنقابي ، الإعلامي .

نقول إن الأجهزة الأيديولوجية للدولة لا تختلط مع الجهاز القمعي للدولة ففيم يقوم الفرق بينهما؟

في لحظة أولى يمكن أن نلاحظ أنه إذا كان هناك جهاز قمعي واحد للدولة فإنه توجد عدة أجهزة أيدولوجية للدولة . والوحدة التي تشكل هذا التعدد في الأجهزة الأيديولوجية للدولة في أجسام ، إذا ما كانت موجودة ، فإنها ليست منظورة بشكل مباشر . في لحظة ثانية ، يمكن أن نلاحظ أنه في حين أن الجهاز القمعي للدولة جهاز موحد وينتمي كله إلى المجال العمومي فإن أغلب الأجهزة الإيديولوجية للدولة في تشتتها المظهري تنتسب ، على العكس من ذلك ، إلى المجال الخاص ، الكنائس خاصة وكذا الأحزاب ، والنقابات ، والعائلات ، وبعض المدارس ، ومعظم الصحف والمؤسسات الثقافية ، إلخ .»

L. Althusser, *Positions*, éd. Sociales, Paris, pp. 82-85.

دفاتر فلسفية : الإيديولوجيا العدد 8 إعداد : محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي ، دار توبقال ، 1999 ، ص ص . 46-48 .

2-2/ الأسئلة

1- أبني الإشكال من خلال :

- إبراز الموضوع الرئيسي الذي يعالجه ألتوسير.
- صياغة السؤال الذي يفترض أن ألتوسير يجيب عنه.

2- أبني أطروحة ألتوسير من خلال :

- تفكيك فقرات النص بناء على الروابط المنطقية.
- تحديد وظيفة تلك الروابط المنطقية (العرض، الإثبات، النقد ..).
- استخلاص جواب ألتوسير عن الإشكال المطروح :أهو إثبات لموقف سابق ؟ أم عرض لموقف خاص ؟ أم انتقاد لموقف مغاير ؟

3- أحكم على أطروحة ألتوسير وقيمتها الفلسفية من خلال :

- بيان ما إذا كان مضمون هذه الأطروحة ما يزال يحتفظ براهنيته أم أصبح متجاوزا.
- بيان طبيعة الحجاج الذي تقوم عليه الأطروحة، مع إبراز ما إذا كان مقنعا من حيث تطابقه مع مبادئ العقل أو الواقع أو العلم...

3-2/ التصور الفلسفي

تمارس الدولة سلطة سياسية قمعية توجيهية من خلال مجموعة من الأجهزة، وهنا لا يمكن حصر أجهزة الدولة في الأجهزة القمعية كما فعلت الماركسية (ماركس، إنجلز)، فهناك أجهزة أخرى تمارس من خلالها الدولة سلطتها السياسية، وهي الأجهزة الأيديولوجية، وهي أجهزة غير مرئية أو منظورة بشكل مباشر، ونقصد بالأجهزة الأيديولوجية للدولة عددا من جوانب الواقع التي تمثل أمام الملاحظ المباشر على هيأة مؤسسات متميزة ومتخصصة : الجهاز الديني، والعائلي، والمدرسي، والقانوني، والسياسي، والنقابي، والإعلامي.

فإلى جانب اعتمادها أجهزة مادية مباشرة، تعتمد السلطة السياسية للدولة على أجهزة أيديولوجية غير مباشرة تمارس عبرها سلطتها القمعية.

III- الموقف الفلسفي 2 : ميشيل فوكو

3-1/ النص الفلسفي

السلطة ليست مجموعة أجهزة

ميشيل فوكو

في مقابل التصور الذي يسجن السلطة في مجموعة من الأجهزة والبنيات ، يبلور ميشيل فوكو ، في هذا النص ، تصورًا أصيلاً للسلطة : فهي ليست متعالية عن المجال التي تمارس فيه ، بل هي محايثة له . إنها الاسم الذي يطلق على وضعية استراتيجية معقدة في مجتمع معين تجعل مفعول السلطة يمتد كعلاقات قوة في منحى من مناحي الجسم الاجتماعي .

«أنا لا أعني بالسلطة ما دأبنا على تسميته بهذا الاسم ، وأعني مجموع المؤسسات والأجهزة التي تمكّن من إخضاع المواطنين داخل دولة معينة . كما أنني لا أقصد نوعًا من الإخضاع الذي قد يتخذ ، في مقابل العنف ، صورة قانون . ولست أقصد أخيرًا ، نظامًا من الهيمنة يمارسه عنصر على آخر ، أو جماعة على أخرى ، بحيث يسري مفعوله ، بالتدريج ، في الجسم الاجتماعي بكامله . إن التحليل الذي يعتمد مفهوم السلطة لا ينبغي أن ينطلق من التسليم بسيادة الدولة أو صورة القانون أو الوحدة الشاملة لهيمنة معينة ، فهذه ليس بالحريّ إلاّ الأشكال التي تنتهي إليها السلطة . يبدو لي أن السلطة تعني بادئ ذي بدء علاقات القوى المتعددة التي تكون محايثة للمجال الذي تعمل فيه تلك القوى ، مكونة لتنظيم تلك العلاقات ، إنها الحركة التي تحوّل تلك القوى وتزيد من حدّتها وتقلب موازينها بفعل الصراعات والمواجهات التي لا تنقطع ؛ وهي السند الذي تجده تلك القوى عند بعضها بعضًا ، بحيث تشكل تسلسلاً ومنظومة ، أو على العكس من ذلك ، تفاوتًا وتناقضًا يعزل بعضها عن بعض ، وهي أخيرًا الاستراتيجيات التي تفعل فيها تلك القوى فعلها ، والتي تجسد مرماها العام ويتبلور في مؤسسات أجهزة الدولة وصياغة القانون وأشكال الهيمنة الاجتماعية . إن شروط إمكانية السلطة ، أو على الأقل ، إن وجهة النظر التي تسمح بفهم ممارستها وإدراكها حتى في أكثر مفعولاتها «هامشية» ، والتي تسمح كذلك بتوظيف آلياتها كمنظور لفهم الحقل الاجتماعي ، إن وجهة النظر هذه لا ينبغي البحث عنها عند نقطة مركزية تكون هي الأصل ، وبؤرة وحيدة للسيادة تكون مصدر إشعاع لباقي الأشكال الثانوية التي تتولّد عنها ؛ وإنما ينبغي رصدها عند القاعدة المتحركة لعلاقات القوى التي تولّد دونما انقطاع ، وبفعل عدم التكافؤ بينها ، حالاتٍ للسلطة ولكنها دومًا محليّة وغير قارة . السلطة حاضرة في كل مكان ، ولكن ليس لأنها تتمع بقدرة جبارة على ضم كل شيء تحت وحدتها التي لا تقهر ، وإنما لأنها تتولد ، كل لحظة ، عند كل نقطة ، أو بالأولى ، في علاقة نقطة بأخرى . إذا كانت السلطة حالّة في كل مكان ، فليس لأنها تشمل كل شيء وإنما لأنها تأتي من كل صوب . وليست السلطة بصيغة المفرد ، بما لها من استمرار وما فيها من تكرار وقصور وخلق ذاتي ، ليست إلا نتيجة عامة ترتسم انطلاقًا من جميع هذه الحركات ، وليست إلا الرباط الذي يستند إلى كل حركة فيسعى إلى تثبيتها . لا شك أننا ينبغي أن نعتنق هنا النزعة الإسمية فلا ننظر إلى السلطة على أنها مؤسسة أو بنية ، ولا على أنها قوة خُوِّلت للبعض ، وإنما على أنها الاسم الذي نُطْلِقُهُ على وضعية استراتيجية معقدة في مجتمع معين .»

ميشيل فوكو ، نظام الخطاب ، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي ، الفكر العربي المعاصر ، العدد 33 ، 1985-1984 .

2-3/ الأسئلة

1- أبني الإشكال من خلال :

- إبراز الموضوع الرئيسي الذي يعالجه فوكو.
- صياغة السؤال الذي يفترض أن فوكو يجيب عنه.

2- أبني أطروحة فوكو من خلال :

- تفكيك فقرات النص بناء على الروابط المنطقية.
- تحديد وظيفة تلك الروابط المنطقية (العرض، الإثبات، النقد ..).
- استخلاص جواب فوكو عن الإشكال المطروح : أهو إثبات لموقف سابق ؟ أم عرض لموقف خاص ؟ أم انتقاد لموقف مغاير ؟

3- أستنبط البنية المفاهيمية للنص من خلال :

- استخراج المفاهيم المعتمدة في النص.
- ترتيبها في شكل خطاطة بدءا من العام إلى الخاص.

- كيفية توظيفها لبناء الأطروحة الواردة في النص.

3-3/ التصور الفلسفي

ينتقد فوكو المواقف التقليدية التي تحصر السلطة في مجموع المؤسسات والأجهزة التي فوضت للبعض القيام بمهمة إخضاع المواطنين داخل دولة معينة (رجال السلطة)، ويرى بخلاف ذلك أنه لا يمكن النظر إلى هذه السلطة كجسم منفصل، بل هي متواجدة في كل الجسم الاجتماعي، تنتج عن علاقات القوة والصراع بين مكوناته، حول اللغة والسلطة، الحقيقة والسلطة، الأسرة والسلطة، وتتجسد بشكل واضح في الدولة.

بهذا لا يمكن الحديث عن السلطة بصيغة المفرد، فهناك تصور للسلطة يتسم بالتجدد، إنها وضعية إستراتيجية معقدة في مجتمع معين.

« السلطة تعني علاقات القوى المتعددة التي تكون محايثة للمجال الذي تعمل فيه.. .انها حاضرة في كل مكان ».

IV- الموقف الفلسفي 3 : نيكولا مكيافيلي

4-1/ النص الفلسفي

السياسة صراع

كل واحد منا يعرف مدى الثناء الذي يناله أميرٌ يحفظ عهده ويحيا حياة الاستقامة دون مكر وخداع. غير أن تجارب عصرنا [1] هذا تدل على أن أولئك الأمراء أصبحوا عظماء لأنهم لم يصونوا العهد إلا قليلا، وأنهم استطاعوا أن يؤثروا على عقول الناس بالمكر والخداع، كما تغلبوا في النهاية على أولئك الذين جعلوا من الأمانة أساساً لأعمالهم.

يجب أن تعلم أيها الأمير إذن أن هناك طريقين للقتال، الطريقة الأولى تعتمد القوانين، والثانية تعتمد القوة، الطريقة الأولى خاصة بالبشر، أما الثانية فهي خاصة بالحيوانات المتوحشة. ولما كانت الأولى غير كافية، في الغالب، فيجب استخدام الثانية. لهذا فمن الضروري للأمير أن يعرف جيداً كيف يستخدم الطريقتين (...)

على الأمير أن يعلم جيدا كيف يتصرف كالحيوان، عليه أن يقلد الثعلب والأسد في نفس الآن، فالأسد لا يستطيع حماية نفسه من شباك الفخاخ، والثعلب غير قادر على مواجهة الذئاب. على الأمير أن يكون ثعلبا لمعرفة شبكة الفخاخ، ويكون أيضا أسداً ليخيف الذئاب. فذلك الذي يريد أن يكون أسداً فقط لا يفهم شيئا. ينبغي على الأمير إذن أن يكون رجلاً حكيماً عندما لا يحفظ عهداً يكون في الوفاء به ضياع مصلحته، وألا يستمر في الوفاء بوعد انتهت أسباب الارتباط به.

قد يكون هذا مبدأ شريراً، لكن هذا يصدق في حالة ما إذا كان جميع الناس من الأخيار، لكن ما دام جميعهم من الأشرار ولن يرعوا عهودهم معك، فلابد أن تكون في حلّ من عهودهم (...)

إن الذين استطاعوا تقليد الثعلب بمهارة حققوا نجاحاً كبيراً، لكن لا بد لك أن تكون قادراً على إخفاء هذه الصفة بمهارة وتستطيع التمويه والخداع. إن الناس بسطاء، وهم على استعداد لقبول ضرورات الحاضر. إن من يمارس الخداع سيجد دائما بين الناس من يقبل أن ينخدع بسهولة.

نيقولاي ماكيافيلي، **الأمير**، الفصل 23، ترجمه إلى الفرنسية غوهوري، غاليمار، باريس، 1970، ص: 123 – 125

Nicolas Machiavel, Le Prince.

4-2/ الأسئلة

1- أبني الإشكال من خلال :

- إبراز الموضوع الرئيسي الذي يعالجه مكيافيلي.
- صياغة السؤال الذي يفترض أن مكيافيلي يجيب عنه.

2- أبني أطروحة مكيافيلي من خلال :

- تفكيك فقرات النص بناء على الروابط المنطقية.
- تحديد وظيفة تلك الروابط المنطقية (العرض، الإثبات، النقد ..).
- استخلاص جواب مكيافيلي عن الإشكال المطروح : أهو إثبات لموقف سابق ؟ أم عرض لموقف خاص ؟ أم انتقاد لموقف مغاير ؟

3- أستنبط البنية المفاهيمية للنص من خلال :

- استخراج المفاهيم المعتمدة في النص.
- ترتيبها في شكل خطاطة بدءا من العام إلى الخاص.
- كيفية توظيفها لبناء الأطروحة الواردة في النص.

4- أناقش أطروحة صاحب النص من خلال :

- المقارنة مع أطروحة ألتوسير وأطروحة فوكو.
- طبيعة الحجج المعتمدة في النصوص الثلاثة مع بيان نقط التشابه والاختلاف.

3-4/ التصور الفلسفي

يعتبر كتاب "الأمير" لنيكولا مكيافيلي من أشهر كتب السياسة وأكثرها إثارة للجدل بسبب حساسية موضوعه المتمحور حول مختلف الأدوات والأساليب التي تمكن رجل السياسة، أي "الأمير" صاحب القرار، من الحفاظ على سلطته وضمان تحييد خصومه أو منافسيه المحتملين.

ويرى مكيافيلي أن السياسة مجال للصراع بين مصالح الأفراد والجماعات. وبناء عليه وجب على السياسي "الأمير" إن أراد التحكم في الصراع والحصول على السلطة والبقاء فيها أن يستخدم كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة، وهو ما عبر عنه مكيافيلي بضرورة المزاوجة بين دهاء الثعلب وقوة الأسد.

V- تركيب

السلطة السياسية للدولة ليست ذات طبيعة واحدة، وإنما هي ذات أشكال وأوجه متعددة، وعموما يمكن التمييز بين شكلين من أشكال السلطة السياسية، السلطة السياسية القائمة على الحق والقانون والعدالة وفصل السلط، وهي السلطة القائمة على منطق العقل والأخلاق، والسلطة السياسية القائمة على العنف والمكر والقوة.

ويرجع الاختلاف بين تلك التصورات إلى اختلاف المرجعيات الفكرية واختلاف المنطلقات، فهناك من ينطلق من الطبيعة الخيرة للإنسان، وهناك من ينطلق من الطبيعة الشريرة للإنسان، كما أن هناك من ينطلق مما يجب أن يكون، وهناك من ينطلق من الواقع ومما هو كائن.